دراسات الأدب المعاصر، السنة السابعة، خريف ۱۳۹۴، العدد السابع والعشرون: صص۱۰۷- ۱۲۱

مصطفی لطفی منفلوطی؛ نبذة من حیاته وأدبه

فتانه منصوری جمشیدی*

تاریخ الوصول: ۱۷/ ۱/ ۹۴
تاریخ القبول: ۹۴/۵/۵

الملخص

هو *مصطفی لطفی بن محمد لطفی بن محمد حسن لطفی المنفلوطی* وهو من الأدباء الذین کان لطریقتهم الإنشائیة أثر فی الجیل الماضی. وُلِدَ فی منفلوط، من صعید مصر وتلقّی علومه فی الأزهر، وکان یمیل إلی مطالعة الکتب الأدبیة کثیراً، ولزم *الشیخ محمد عبده* فأفاد منه. فانفرد بأسلوب نقی فی روایاته وکتبه، کما تمیز شعره برقة وعذوبة، قام بترجمة العدید من الأعمال الأدبیة والإقتباس من بعض روایات الأدب الفرنسی الشهیرة بأسلوب أدبی ممیز، کما تمیز بصیاغة عربیة فی غایة الجمال والروعة. لم یحظی بإجادة اللغة الفرنسیة لذلک استعان بأصحابه الذین کانوا یترجمون له الروایات ومن ثم یقوم هو بصیغتها وصقلها فی قالب أدبی فذ. کتاباه النظرات والعبرات یعتبران من أبلغ ما کتب بالعربیة فی العصر الحدیث.

الکلمات الدلیلیة: المنفلوطی، الدراسة الفنیة، الکاتب الاجتماعی، النزعة الإنسانیة، المواقف الاجتماعیة.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

* مدرسة جامعة المعلمین فی طهران. f.mansourijamshidi@gmail.com

المقدمة

يعتبر *مصطفى لطفى منفلوطى* من أحد الكتّاب الحاذقين فى الحياة الأدبيـة والفكريـة والثقافية فى تاريخ الادب العربى الحديث،وهوالعلم البارز فى الطريقة النثرية، لأن اذا كـان المنفلوطى قد بدأ حياته الأدبية شاعراً؛ فهو لم يحتل مكانه فى الأدب العربى الحديث بغير الكتابة النثرية التى اصطنع فيها اسلوباً فريداً يحمل طابعـه ووسـمه و ينحـو فيـه منحـى جمالياً يعتمد على الترسل والبعد عـن التكلـف وجمـال الإيقـاع الموسـيقى. وقـد أسـهم *المنفلوطى* فى تخليص النثر العربى الحديث من أغلال السجع الذى كان غالباً عليه، ونأى به عن التكلف البديعى، ولا شک أن استاذه *الإمام محمد عبده* كان رائده فى هـذا الإتجـاه منذ وكل إليه تحرير الوقائع المصرية فى عام ١٨٨٠م(فقد خرج بها مـن أسـلوب السـجع والفواصل وأنواع الجناس والبديع إلى اسلوب مرسل حر لا يضيق بالمعـانى ولا يضـيق بـه القراء).

لقد أفاد *المنفلوطى* من تراث العرب النثرى وتتلمـذ علـى أيـدى فرسـانه ممـن كـان مشغوفاً بهم *كابن المقفع والجاحظ*، ولكنه فى الوقت ذاته جعل لكتابتـه سـمة معاصـرة لا يخطئها الذوق المعاصر، على الرغم من عـدم معرفتـه بلغـة أجنبيـة، وقـد إجتذبـه التيـار الرومانسى فيها لموافقته لميوله الطبيعية من حيـث الانتصـار للفضـيلة والعدالـة وحقـوق المستضعفين فى الأرض والاسترسال العاطفى(هدارة، ١٩٩٤: ٤٠٣).

خلفية البحث

مصطفى لطفى المنفلوطى نفسه وأدبه على الإطلاق عُنى به عناية واسـعة فـى الكتـب الأدبية المختلفة عند النقاد المعاصـرين، كمـا جـاء فـى قائمـة المصـادر وتوجـد مقـالات ودراسات عدة فى الجامعات حول هذا الكاتب المشهور وما خلقه مـن آثـاره الأدبيـة مـثلاً أطروحة جامعية تحت عنوان «ترجمه ونقد العبرات» من تأليف *ليلا اسماعيلى*، «بـدبينى و بازتاب آن در آثار مصطفى لطفى المنفلـوطى» *لمظفـر اكبـرى مفـاخر*، «التعـرف علـى مصطفى لطفـى المنفلـوطى فـى ذكـرى وفاتـه» *لريهـام عبـدالوهاب*، «مصـطفى لطفـى المنفلوطى، الأديب الاشتراكى» من إعداد محمد *شلبى* وأخيراً «ترجمـة الحيـاة وتحقيـق أدبى فى قسم من آثار مصطفى لطفى المنفلوطى» *لإبراهيم ميرباقرى*. كل هذه الدراسات

المرتبطة استعنى فى التعرف على الجانب الفكرى لهذا الكاتب، ولكن الجديد فى هذا المقال، البحث العميق عن حياته الشخصية وعن أدب هذا الكاتب الشهير، الأدب الذى متأثر من رؤيته الفكرية والإجتماعية والسياسية فى تلك الفترة.

حياته

هو الأديب الكبير *مصطفى لطفى المنفلوطى*، ولد فى قرية منفلوط إحدى القرى التابعة لمحافظة أسيوط، ولد فى عام ١٨٧٦م(عويضه،١٤١٣: ١١). لأب عربى يتصل نسبه بالحسين ولأم تركية. واضح أن شهرته *بالمنفلوطى* ترجع إلى صلته بوطنه الصغير وأما لقبه *بالسيد* فيرجع إلى أن ذلک شائع لدى من يتوارثون الصله بعتره الحسين ويتولون نقابة الاشراف. كانت نقابه الأشراف و مرتبه القضاء يتوارثها بيت أبيه، منذ مائتى سنة. و*المنفلوطى* من أسرة حسيبة النسب والشرف تولته بالرعاية والاهتمام منذ صغره فحفظ القرآن الكريم وهو لم يتجاوز سن الحادية عشر، ثم أرسله والده إلى الأزهر الشريف ليتم تعليمه بين أروقته وتحت أعمدته، فظل به عشر سنوات يدرس ويحصل ويختلف على معظم مدرسيه وعلمائه وفقهائه الكبار(أبو الأنوار،١٩٨١: ٢٧).

وفى الأزهر وجد *المنفلوطى* ضالته المنشودة فى *الشيخ محمد عبده* الذى أعجب به شديد الإعجاب حتى لزمه فى كل دروسه، فما لبث أن انصرف عن الأزهر بكل علومه ورجاله وأخذ يتردد بشكل مستمر على *الشيخ محمد عبده* فقط. ومنذ تلک اللحظة بدأت ميول *المنفلوطى* للأدب والبيان واللغة أكثر وضوحا من التعمق فى العلوم الشرعية والدينية، وهذا ما جعله يتفرغ لقراءة مؤلفات *ابن المقفع*، *والجاحظ*، و*بديع الزمان الهمذانى*، *والامدى*، *والباقلانى*، *وابن الرومى*، و*عبدالقادر الجرجانى*، *وابى العلاء المعرى*، وبالطبع كتب *محمد عبده* وخاصة كتاب «دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة» ولشدة ولعه وشغفه *بالإمام محمد عبده*. يقول *الدكتور شوقى ضيف* أن *المنفلوطى* أسف أسفا شديدا لوفاته حتى رجع إلى قريته مرة أخرى ليظل بها قرابة العامين يكاتب منها صحيفة المؤيد، بعد ذلک عاد ثانية إلى القاهرة(نفس المصدر: ٣٠-٢٨).

قدكان *المنفلوطى* قطعة موسيقية فى ظاهره وباطنه؛ فهو مؤتلف الخلق، متلائم الذوق، متناسق الفكر، متسق الأسلوب، منسجم الزى. كان صحيح الفهم وسليم الفكر، دقيق

الحسن(الزيات، ١٩٨٥: ٣٤١). هذه انحلال تظهر صاحبها للناس فی مظهر العیی الجاهل فهو لذلک کان یتقی المجالس ویتجنب الجدل ویکره الخطابة. مرجع ذلک فیه الی احتشام التربیة التقلیدیة فی الأسرة ونظام التعلیم الصامت فی الأزهر وفرط الشعور المرهف بکرامة النفس(رضایی، ١٣٨٤: ١٣).

فهو الانسانی النزعة إلی حد بعید وقد وضحت لنا فی بعض المواقف، نزعته الانسانیة العامة حیث یأسی من أجل شقاء المجتمعات بالحرب ویدعو للسلام ویعتز بالصلة الإنسانیة بین بنی البشر جمیعاً. فنزعة الأخلاقیة المثالیة التی تتمثل فی حرصه الدائم التبصیر بالحق والخیر والفضیلة فی مقالاته وقصصه علی السواء. فکل الموضوعات التی تستبد بوجدانه والتی تصدی للدفاع عنها. تجعل القاری لها فضلاً عن الدارس، یری الرجل وقد اجتمعت لشخصیة أرقی العواطف المعنویة فی الانسان وهی محبة الحق والجمال(عبدالقادر،١٩٤٩: ٥٤).

أُصیب *المنفلوطی* بشللٍ بسیطٍ قبل وفاته بشهرین، فثَقل لسانه منه عدّة أیامٍ، فأخفی نبأه عن أصدقائه، ولم یجاهر بألمه، ولم یدع طبیباً لعیادته، لأنه کان لا یثق بالأطباء، ورأیه فیهم أنهم جمیعاً لا یصیبون نوع المرض ولا یتقنون وصف الدّواء؛ ولعلّ ذلک کان السّبب فی عدم إسعاف التّسمم البَولیّ الذی أُصیب به قبل استفحاله.

وفی لیلة الجمعة السّابقة لوفاته، کان یأنس فی منزله إلی إخوانه ویسامرهم ویسامرونه، وکان یَفِد إلیه بعض أخصائه وأصدقائه من الأدباء والموسیقییّن والسیاسییّن، حتی إذا قضی سهرته معهم انصرفوا إلی بیوتهم ومخادعهم، وانصرف هو إلی مکتبه، فبدأ عمله الأدبی فی نحو الساعة الواحدة بعد نصف اللّیل، لکنه ما کاد یمکث طویلاً حتی أحسّ بتعب أعصابه، وشَعَر بضیقٍ فی تنفّسه، فأوی إلی فراشه ونام، ولکن ضیق التّنفس أرقه. کُتِبَ علیه أن یُختَم بالتّأوه والأنین، کما عاش متأوّهًا من مآسی الحیاة، ساجعاً بالأنین والزّفرات، وأدار وجهه إلی الحائط وکان صباح عید الأضحی قد أشرقت شمسه ودبّت الیقظة فی الأحیاء، فدبّ الموت فی جسمه فی سکونٍ وارتفعت روحُه مطمئنّةً إلی السّماء. توفی *المنفلوطی* یوم الخمیس، الثانی عشر من یونیه سنة ١٩٢٤م، عن عمر یناهز الثانیة والخمسین عاما تقریبا، وکانت وفاته فی الیوم الذی جرت فیه محاولة اغتیال

سعد زغلول الذى نجا من تلك المحاولة، ولكنه أصيب إصابة بالغة؛ فانشغل النـاس بتلـك الحادثة ولم يلتفتوا كثيراً لوفاة *المنفلوطى*(أبو الأنوار،١٩٨١: ٦٧).

ولقد رثاه *حافظ إبراهيم* و*أحمد شوقى* فى مأتم أقيم فى وقت لاحق، قال *شوقى*:

اخترتَ يوم الهول يوم وداعِ
ونعاك فى عصف الرياح الناعى
هتف النعاة ضحىً فأوْصد دونهم
جرحُ الرئيس منافذَ الأسماعِ
من مات فى فزع القيامة لم يجد
قدماً تشيِّع أو حفاوة ساعى

(شوقى،١٩٨٨م، ج٢: ٩٤)

حياته الادبية

بدأ *المنفلوطى* حياته شاعراً لا يعرفه أحد، وأنهاها إماماً للنثر؛ بل صار أمير البيان؛ كما خلع عليه محمد *أبو الأنوار* هذا اللقب فى دراسته التى حملت هذا العنوان(ابوالأنوار،١٩٨١: ١٢٦). عاش *المنفلوطى* حياة بائسة شديدة الفقر والحاجة، فكان يشقى فى سبيل الحصول على حد الكفاف، ورغم الوضع الاقتصادى الصـعب *للمنفلـوطى* إلاّ أنـه كـان صـاحب رأى وموقف، فمن المعروف عنه أنه ناصر شيخه محمد *عبده* ضد *الخديوى عباس*، ظهـر ذلـك جلياً عندما عاد *الخديوى عباس* من زيارة له لإحدى الدول الأجنبيه فنظم له *المنفلـوطى* بعض الأبيات غير المرحبة بعودته للبلاد، ثم نشـر هـذه القصـيده بـدون توقيعـه، إلا أنـه سرعان ما تم التعرف عليه وتم سجنه وهو لايزال طالبا بالأزهر.

وبذلك تضافرت الأحوال البائسة مع السجن لتحـول *المنفلـوطى* لأشـهر طـائر حـزين يطير فى سماء الشرق. لهذا اهتم *المنفلوطى* بأن يجـد وظيفـة مناسـبة، فتـولى الأعمـال الكتابية فى وزارة المعارف عام ١٩٠٩ م، وكان ذلك أثناء تولى سعد *باشا زغلـول* الـوزارة الذى كان شديد الإعجاب به.

وعندما انتقل سعد *زغلول* لتولية وزارة الحقانية عـام ١٩١٠ م نقلـه معـه إلـى الـوزارة الجديدة، لكنه فصل بعد خروج سعد *زغلول* من الـوزارة. فعمـل فـى سـكرتارية الجمعيـة

التشريعية عام ١٩١٣ م. وعندما قام البرلمان فى عام ١٩٢٣ م عينه *سعد زغلول* موظفاً به وظل بهذه الوظيفة حتى وافاه الأجل(عويضه،١٤١٣: ٣٣-٢٩).

أسلوب كتابته

أحدث *المنفلوطى* فى الجيل الجديد - وقتها - ثورة فى عالم الكتابة، تُخالف ما قبله، وتبشر بما بعده، فهو تخلّص من ركاكة الأسلوب الغارق فى أوحال التراكيب التركية الركيكة؛ فانفتح على أدب البوح، والإقتباس، وحكايات الغرب، وقصصه العجيبة؛ وعجن ذلک كله فى وعائه اللغوى الخاص الذى كان فاتحة القرن العشرين فى فن الإنشاء، والكتابة.

كان أسلوب *المنفلوطى* حديثاً بالنسبته لمن سبق بوجه عام إذا ابتعد عن الإنشاء اللفظى والزخرف البيانى على غير مضمون الذى يقرأ مؤلفات *المنفلوطى* يرى فى أسلوبه وضوح ورشاقة وسهولة. لعل أول ما يلفت النظر فى أسلوبه هو ميله إلى التصوير الفنى ونعنى بذلک اعتماده الكلام المجازى فى تبيان ما يروم تبيانه(المقدسى،١٩٨٤: ٢٩٨-٢٩٤).

فلما حدث التجدد الذى اقتضيته النهضة صارت الكتابة تميل إلى البساطة وإرسال الكلام على طبيعته؛ على أن هذا الميل لم يمنع كتابنا من استخدام التصوير الفنى بطريقة يتحاشون فيها تصنع عهد الإنحطاط أو ما سبقه، ويجعلون به كتابتهم أشد تأثيراً فى نفوس القراء وعلى هذه الطريقة جرى *المنفلوطى* فى أكثر ما كتب. فتصويره على العموم لطيف مشرق لا تقعر يستثقل فيه ولا زخرفة تستهجن ويمجها الذوق. وهو إلى ذلک يميل إلى الإطناب والتفصيل.

طريقة *المنفلوطى* لها سمات أسلوبية واضحة أهمها البعد عن التكلف والنأى عن التقليد والقصد إلى الصدق والإهتمام بحسن الصياغة وجمال الإيقاع ورعاية الجانب العاطفى، ثم الميل إلى السهولة والترسل وترک التعقيد والمحسنات فيما عدا بعض السجع المطبوع الذى يأتى بين الحين والآخر للإسهام فى موسيقى الصياغة(هيكل، ١٩٦٨: ١٦٦). وهو فى ذلک يميل إلى الأطناب والتفصيل فكأنه من هذا القبيل أشبه *بابن الرومى* فى الشعر يأخذ المعنى كما قال *ابن خلكان*: «فلا يزال يعالجه حتى لا يبقى

فيه بقية» أى أنه ينزع إلى الوصف المستفيض وإلى تقصى الدقائق فى شرح المعنى المطلوب فلا عجب أن ترى *المنفلوطى* يندفع إلى تكرير المعطوفات والمترادفات والنعوت كقوله من مقال عنوانه «الحياة الذاتية»: «أية قيمة لحياة أمرىء لا عمل له فيها إلا معالجة نفسه على الرضا بما يرضى به الناس؛ فيأكل ما لا يشتهى ويصدف نفسه عما تشتهى ويسهر حيث لا يستعذب طعم السهر، وينام حيث لا يطيب له المنام، ويلبس من اللباس ما يحرج صدره ويقصم ظهره ويشرب من الشارب ما يحرق أمعاءه ويأكل أحشاءه، ويضحك لما يبكى ويبكى لما يضحك ويبتسم لعدوه، ويقطب فى وجه صديقه وينفق فى دراسة علم السلوك(أى المداهنة والملق) زمناً لو أنفق عشر معشاره فى دراسة علم من العلوم النافعة لكان نابغته المبرز فيه حرصاً على إرضاء الناس وازدلافا على قلوبهم»، ومع هذا لم تكن طريقة *المنفلوطى* هى المثل الأعلى لكتابة المقالة فقد عيب عليها الاهتمام البالغ بالأسلوب وفقر الجانب الفكرى والمبالغة فى اصطناع الأسى وإثارة العاطفة ثم عدم الدقة(المقدسى، ١٩٩٠: ١٩٩-١٩٨).

فى الاستعمال اللغوى أحياناً والميل إلى حشد الألفاظ المترادفة والعبارات المكملة والكلمات المؤكدة دون حاجة إلى ذلك يقتضيها الموقف أو تحتاجها الفكرة. *المنفلوطى* مزج بين روعة الحكى الفرنسى وحرارته، وبين الأداء اللغوى المتين؛ فتخلى عما لا يخدم فكرته، وأضاف ما لا يتعارض مع الواقع، والأعراف. كان لا يعرف اللغة الفرنسية؛ فاتفق مع أحد أصدقائه العارفين بها؛ فكان يقص عليه أحداث الروايات التى تروقه؛ ثم يقوم هو بتمصيرها، وإلباسها اللباس العربى الشرقى، وهو ما نجح فيه؛ على عكس *حافظ إبراهيم* فى تعريبه لرواية «البؤساء» *لفيكتور هوغو*؛ فأسلوبه أقل طلاوة ورشاقة من صاحبه.

ومن آيات *المنفلوطى* الشاهدات على فطنته؛ كما يقول *الطاهر أحمد* مكى فى كتابه الموسوعى «الأدب المقارن أصوله وتطوره ومناهجه»، أنه «رأى أن ذوق الجمهور فى مطلع القرن الماضى يختلف عما قبله؛ فانساق وراءه مترجماً ومقتبساً ومجدّداً»، فاستجاب دواعى التطوير الاجتماعية والثقافية، وظروف العصر الملحّة(مكى، ١٩٨٧: ١٦٨). وصفه *أحمد حسن الزيات* فى كتابه «تاريخ الأدب العربى»، فقال: «إنه كان مؤتلف الخلق، متلائم الذوق، متناسق الفكر، متسق الأسلوب(الزيات،١٩٨٥: ٣٤١).

مؤلفاته

للمنفلوطی أعمال أدبية كثيرة اختلف فيها الرأی وتدابر حولها القول، وقد بدأت أعمال *المنفلوطی* تتبدی للناس من خلال ما كان ينشره فی بعض المجلات الإقليمية؛ «كالفلاح، والهلال، والجامعة، والعمدة» وغيرها، ثم انتقل إلب أكبر الصحف آنذاك وهی «المؤيَّد»(أبو الأنوار، ٢٠٠٠: ٦٠).

كَتَب *المنفلوطی* الكتب التالية: «النَّظرات، فی سبيل التَّاج، ماجدولين أو تحت ظلال الزيزفون، بول وفرجينی أو الفضيلة، الشاعر أو سبرانودی برجراک، العَبَرات، مختارات المنفلوطی» وهی مختارات شعرية ونثرية انتقاها *المنفلوطی* من أدب الأدباء العرب فی مختلف العصور.

كانت حياة *المنفلوطی* مليئة بالإنجازات الأدبية، فعندما يذكر *المنفلوطی* يذكر معه كتابيه الأشهر «النظرات» و«العبرات» ولكن هذين العملين مثل جميع أعماله التی قام بتعريبها بعد ترجمتها، *فالمنفلوطی* لم يكتب كتاباً خالصا فی حياته إلا كتاب واحد وهو الكتاب الأقل شهرة وهو تحت عنوان «القضية المصرية من سنة ١٩٢١ إلی سنة ١٩٢٣» والكتاب واضح من اسمه أنه سياسی ولا صلة له بالأدب ولا البيان لا من قريب أو من بعيد.

أما عن أعماله التی رفعته إلی ذروة الشهرة فجاءت عبر تكليفه لبعض الأصدقاء بأن يقوموا بترجمة بعض الأعمال، ثم يقوم هو باعادة كتابتها وكأنه يؤلفها من جديد ويمزجها بالواقع المصری والعربی مزجاً مؤثرا. واختار *المنفلوطی* وأصحابه الأعمال الرومانسية المعنية بالعدالة والفضيلة والانتصار للفقراء ومن هذه الأعمال: «قصة بول وفرجينی» *لبرناردين دی سان بير* وسماها «الفضيلة»، ورواية «ماجدولين» أو «تحت ظلال الزيزفون» *لألفونس كار*، وأيضا رواية «الشاعر» *لأدموند روستان*، وكذلک رواية «فی سبيل التاج» *لفرانسوا كوبيه*.

وقد جمع *المنفلوطی* هذه الأعمال فی عمله الكبير «العبرات» وهو العمل الذی حقق نجاحاً كبيرا له، وجعل *للمنفلوطی* مكانة متقدمة فی الحياة الأدبية المصرية والعربية. *وللمنفلوطی* أيضا كتاب يسمی «مختارات المنفلوطی» وهو عبارة عن مختارات لمن قرأ لهم من كبار الشعراء أمثال *أبی تمام*، *وابن الرومی*، *وأبی العلاء*(ابوالأنوار، ٢٠٠٠: ٧٠-٦٠).

وبجانب «العبرات» فإن كتابه «النظرات» يقع فى نفس مكانة كتابه الأول، و «النظرات» يشتمل على ثلاثة مجلدات وهى مجموعة كبيرة من المقالات الاجتماعية نشرها *المنفلوطى* فى صحيفة «المؤيد» التى كان يحررها الشيخ *على يوسف*. ففى «النظرات» يتحدث *المنفلوطى* عن مشاكل وتحديات المجتمع المصرى آنذاك، ويقول *الدكتور شوقى ضيف* فى هذا الإطار: «تتميز هذه المقالات بميزتين أساسيتين، الأولى تتناول الشكل والثانية تتعلق بالموضوع، أما عن الشكل فإنها كتبت باسلوب نقى خالص ليس فيه شىء من العامية ولا من أساليب السجع الا ما يأتى عفواً»، أما من حيث الموضوع فقد اختار *المنفلوطى* الحياة الاجتماعية لبيئته واتخذها ينبوعا لأفكاره. و*المنفلوطى* لم يقم فقط بتقليد كاتب قديم بعينه مثل *ابن المقفع* أو *الجاحظ* أو *بديع الزمان* بل حاول أن يكون له أسلوبه الخاص به، وهو ما يسمى بشخصية الكاتب، بمعنى أن كل ما يكتبه يطبع بطابعه ومن ثم يخرج إلى الوجود وكأنه عمل جديد يرى النور للمرة الأولى(ضيف،لا تا:٢٣١).

وقد اتجه *مصطفى لطفى المنفلوطى* فى أعماله القصصية وجهة خاصة، لا يستوحى فيها المقامات ولا غيرها من قوالب التراث، ولا يحاكى القصص الغربى كما سيفعل آخرون فيما بعد، و إنما يقدم نوعاً من القصص، فيه بعض عناصر قصصية، ولكنها غير مكتملة من الناحية الفنية الخالصة، لأن إلى جانبها عناصر أخرى أقرب إلى فن المقال أو فن الخطابة.

ومن هذا المزيج القصصى المقالى الخطابى، اتخذ *المنفلوطى* طريقته القصصية، هادفاً إلى غاية تهذيبية، وهى تعميق الإحساس بالمثل العليا والقيم الإنسانية الكبرى، كالوفاء، والشرف، والشجاعة، والفضيلة، وحب الخير والحق والجمال، مستخدماً للتعبير عن طريقته والوصول إلى غايته، اسلوباً بيانيا أخاذا، يقوم على تجويد التعبير، ورعاية موسيقى الكلام، والإهتمام برسم الصور، وإثارة العاطفة. كل ذلك من غير إلتزام للسجع ولا لغيره من المحسنات، ومن غير محاكاة للمقالات ولا غيرها من مخلفات التراث، بل مع ابداع وابتكار وأصالة وشخصية تتضح فى الأسلوب كما تتضح فى طريقة القصص وغايته جميعاً(طه بدر،١٩٦٣ :١٧٨).

أعمال *المنفلوطى* القصصية من حيث مصدرها نوعان؛ نوع أساس فكرته وأهم أحداثه من أصل أجنبى، ونوع أساس فكرته وأحداثه مخترع. أما النوع الأول فيتمثل فى روايته

التی ترجمت له أحداثها والتی معظمها من النوع الذی یطلق علیه اسم "رومانس". وقد أعاد *المنفلوطی* کتابتها بطریقته وأسلوبه، متصرفاً بالحذف والزیادة والتعدیل، حتی جعلها عملاً جدیداً أو کالجدید.

وتلک الروایات هی «الفضیلة» التی أساسها «بول وفرجینی» *لبرناردین دی سان بییر*، و«مجدولین» التی أصلها «تحت ظلال الزیزفون»، *لألفونس کار*، و«الشاعر» التی مردها إلی «سیرانودی برجراک» *لأدمون روستان*، و«فی سبیل التاج» التی أصلها مسرحیة شعریة *لفرانسوا کوبیة* وقد قدمها *المنفلوطی* من جدید فی شکل روائی، محولاً شعرها وحوارها إلی سرد نثری خاضع لأسلوبه البیانی الخاص.

ومن هذا النوع الاول- المعتمد علی أصول أجنبیه- بعض تلک القصص القصیرة التی ضمنها نظراته وعبراته، و هی فی الأصل روایات أجنبیة حفظ *المنفلوطی* فکرتها وتصرف فیها بأسلوبه الخاص، مثل «الذکری» التی أصلها «آخر ملوک بنی سراج» *لشاتوبریان* و«الشهداء» التی أصلها «أتالا» للکاتب الفرنسی نفسه، ومثل «الضحیة» التی أصلها «غادة الکامیلیا» *لأکسندر دوما الإبن*(شوکت ،١٩٦٣ :٨٠).

برغم عدم إکتمال قصص *المنفلوطی* القصیرة من الناحیة الفنیة، فإنه یعتبر المحاولات الأولی لهذا الفن فی الأدب المصری الحدیث(ضیف، لاتا: ٢٣٠). برغم تصرفه فی الروایات ذات الأصول الأجنبیة، و برغم طریقته غیر الدقیقة فی الکتابة القصصیة بعامة، واعتماده علی الإسترسال الإنشائی والإنفعال العاطفی الحزین، والبعد عن التحلیل والتدقیق فی رسم الشخصیات(شوکت، ١٩٦٣ :٨١) فإنه یعتبر دعامة من دعامات الفن القصصی فی الأدب المصری؛ فهو أول من صنع جمهوراً کبیراً للفن القصصی. وحمل القراء علی اعتبار القصص والروایات نماذج أدبیة عالیة، لا تقل روعة عن الشعر. وبهذا یعتبر *المنفلوطی* مرحلة هامة فی تاریخ أدب مصر الحدیث بعامة، وفی تاریخ فنها القصصی بصفة خاصة(طه بدر،١٩٦٣: ١٨٠). ومن ناحیة الموضوع فقد أختار الحیاة الاجتماعیة لبیئته واتخذها ینبوعا لأفکاره وتحول فیها بتأثیر أستاذه محمد عبده إلی مصلح اجتماعی فهو یردد آراء المصلحین من حوله ویؤدیها بلغته التی تؤسر السامع وتخلب لبه، والنظرات یتحدث عن عیوب المجتمع وما یشعر به من مساوئ الأخلاق مثل القمار والرقص والخمر وسقوط الفتیات والفتیان فالمدنیة الغربیة عنده قد أفسدت الشباب إذ فتحت أمامهم أبواب

الملاهى والسخائف وحولتهم عن حياة الجد والحشمة والوقار فهو لذلك يحمل عليها بعنف، ويدعو إلى الحياة الكريمة ويكتب فى الغنى والفقر ويدعو إلى الإحسان والبر بالضعيف العاجز ويصور أكواخ الفقراء وما هم فيه من مهانة وذلة ونحن لا ننكر أن *المنفلوطى* لم يكن(هيكل، ١٩٦٨: ١١٦).

من فلاسفة المجتمع البشرى ذوى الإطلاع الواسع على شتى مناحيه وعلى العوامل التى تعمل على تطويره وترقيه، ومن الغلو أن نضعه فى مصاف الكتاب العالميين الذين تعمقوا فى دراسة الطبائع البشرية والمشاكل العمرانية والأحداث التاريخية على أن كل ذلك لا يمنعنا من أن نصفه بالكاتب المجيد فقد نشأ فى بيئة خاصة، ورأى فيها ما أثار فى نفسه الحزن والألم وحب الإصلاح فاستطاع أن يعبر عن شعوره بأسلوب أدبى ناصع استهوى الجمهور فأقبلوا عليه وتمتعوا بقراءة ما كان يقدم لهم. ومن المقالات التى يتجلى فيها خصائص أسلوبه وتفكيره:

«ليتك تبكى كلما وقع نظرك على محزون أو مفؤود فتبتسم سرورا ببكائك واغتباطا بدموعك لأن الدموع التى تنحدر على خديك فى مثل هذا الموقف إنما هى سطور من نور تسجل لك فى صحيفتك البيضاء. أنك إنسان إن السماء تبكى بدموع الغمام، ويخفق قلبها بلمعان البرق وتصرخ بهدير الرعد، وإن الأرض تئن بحفيف الريح وتضج بأمواج البحر وما بكاء السماء ولا أنين الأرض إلا رحمة بالإنسان ونحن أبناء الطبيعة فلنجارها فى بكائها وأنينها.

إن اليد التى تصون الدموع أفضل من اليد التى تريق الدماء والتى تشرح الصدور أشرف من التى تبقر البطون ... وكم بين من يحى الميت ومن يميت الحى؟ إن الرحمة كلمة صغيرة ولكن ما بين لفظها ومعناها من الفرق مثل ما بين الشمس فى منظرها والشمس فى حقيقتها. وإذا وجد الحكيم بين جوانح الإنسان ضالته من القلب الرحيم وجد المجتمع ضالته من السعادة والهناءة. لو تراحم الناس لما كان بينهم جائع ولا عار ولا مغبون ولا مهضوم.

ولأقفرت الجفون من المدامع ولاطمأنت الجنوب فى المضاجع ولمحت الرحمة الشقاء من المجتمع كما يمحو لسان الصبح مداد الظلام. أيها الإنسان! إرحم الأرملة التى مات عنها زوجها ولم يترك لها غير صبية صغار ودموع غزار، أرحمها قبل أن ينال اليأس منها ويعبث الهم بقلبها فتؤثر الموت على الحياة، وارحم المرأة الساقطة فلا تشتر منها عرضها علها تعجز عن أن تجد مساوما يساومها فيه فتعود به سالماً إلى كسر بيتها، إرحم الزوجة أم ولدك وقعيدة بيتك ومرآة نفسك وخادمة فراشك لأنها ضعيفة ولأن الله أو كل أمرها

إليک، وما كان لک أن تكذب ثقته بک، إرحم ولدک وأحسن القيام على جسمه ونفسه فإنک ألا تفعل قتلته أو أشقيته فكنت أظلم الظالمين، إرحم الجاهل فلا تتحين الفرصة لعجزه عن الإنتصاف لنفسه فتجمع عليه بين الجهل والظلم، إرحم الجاهل لا تتحين فرصة عجزه عن الإنتصاف لنفسه، فتجمع عليه بين الجهل والظلم، ولا تتخذ عقله متجراً تربح فيه ليكون من الخاسرين. إرحم الحيوان لأنه يحس كما تحس ويتألم كما تتألم ويبكى بغير دموع، و بتوجع ولا يكاد يبين. أيها السعداء أحسنوا إلى البائسين والفقراء، وامسحوا دموع الأشقياء وارحموا من فى الأرض يرحمكم من فى السماء»(المنفلوطى، ١۴٢٠ق، ج١: ۶٩).

يتضح لنا من هذا المقال أن *المنفلوطى* كان شديد الإحساس بما فى المجتمع من انحرافات وسقطات وفقدان الرحمة والتكافل، وتعالى الإنسان عن العدل والرحمة حتى مع الزوجة والولد، بل هو لا ينسى الرحمة بالساقطة التى هى ضحية المجتمع الظالم، ولا بالجاهل، ولا بالحيوان. كما يمكن أن نتبين الميل القوى للوعظ عند المنفلوطى واستخدام بعض الخصائص الخطابية كالإهتمام بأسلوب النداء والتكرار وتأكيد المعانى بأكثر من صورة. أما قدرته البيانية فيأتى فى مقدمتها اختياره الدقيق للألفاظ الصافية السهلة ذات الإيقاع القوى، ونظمه لهذه الألفاظ فى عبارات متوازنة تحدث نغماً متسقاً فى كل أجزاء المقال، ويأتى السجع نادراً وبصورة عفوية(هدارة، ١٩٩۴م :۴٠۴-۴٠٣).

نظرته الاجتماعية

كان *المنفلوطى* يهتم بالقضايا الاجتماعية ويبدو أن اهتمامه بالقضايا الاجتماعية كان نابعاً من اتجاه أستاذه *الإمام محمد عبده* الذى كان يريد إصلاح المجتمع، لذا كان *المنفلوطى* دائم الإلحاح على كشف العيوب الاجتماعية والمناداة بالخلاص منها باسم الفضيلة والشرف؛ ففى مقالات مختلفة كتب عن القمار والرقص والخمر والسقوط الفتيان والفتيات فى مهاوى الرذيلة، وتوجع الفقراء والبؤساء داعياً الأغنياء إلى البر والعطف والرحمة(نفس المصدر:۴٠۴).

كان *المنفلوطى* يدعو الناس إلى مساعدة الفقراء والبائسين ويعتقد أن بطنه الغنى نتيجة اختلاسه من الفقير، فعاقبه الله على قسوته بالبطنه.

كان *المنفلوطى* يعتقد بأن الخير هبة الحياة للناس جميعاً وهو حق مشترک بينهم ولا يستطيع أحد أن يمنعه عن الآخرين كما فعل الأغنياء. إنه يعتقد أن الحد الفاصل بين

الإنسان والحيوان، هو صفة الإحسان. الذى يقرأ ادب *المنفلوطى* يرى أن قضية احقاق العدالة الاجتماعية شريان دائم التدفق فى آثاره.

إن *المنفلوطى* لا يصور العيوب الاجتماعية فقط ولا يكتفى بالموعظة والإرشاد، بل يقدم اقتراحاً عمليا على سبيل المثال تنظيم الإحسان عن طريق إنشاء مؤسسة تسمى مجتمع الإحسان(المنفلوطى، ١۴٢٠ق، ج١: ٧٣).

ان *المنفلوطى* معلم اخلاق وداعية فضيلة ويدافع عنها ويدعو إليها، وفى مقالاته وقصصه يهتم بقضية الأخلاق، ويدعو إلى الرحمة والصدق والشرف ويعتقد لو فهم الناس معنى الشرف لأصبحوا كلهم الشرفاء ويدعو إلى الإنصاف والإحسان والوفاء والكرم. هو يحث القارئ على إلتزام الفضيلة لذاتها مهما كان الثمن غاليا.

ومن يطالع متن مؤلفاته، يلمس مكنونات المجتمع الذى عاش فيه *لطفى المنفلوطى* حيث أنه قد رسم من خلال مجتمعه ما كان يعانيه هذا الأخير من مشكلات انقسم فى العديد من قضايا المجتمع بين مؤيد ورافض، كمسألة الحجاب، ومسألة محاكاة المتفرنجين وغيرها، كما وعبر من خلال قصصه هذه كما عاش فى ذلک الوقت فى نفوس الشباب من أشواق وأحزان وآلام؛ وهكذا جاءت قصصه قطرات من الدفع سكبها *المنفلوطى* بين أيدى القرّاء.

نتايج البحث

مصطفى لطفى منفلوطى كان صحيح الفهم، سليم الفكر ودقيق الحسن فى ظاهره كقطعة موسيقية وباطنه فهو مؤتلف الخلق، متلائم الذوق، متناسق الفكر، متسق الاسلوب ومنسجم الزى. هو إنسانى النزعة إلى حد بعيد وقد وضحت لنا فى بعض المواقف، نزعته الإنسانية العامة حيث يأسى من أجل شقاء المجتمعات بالحرب ويدعو للسلام ويعتز بالصلة الانسانية بين بنى البشر جميعا.

كان أسلوب *المنفلوطى* حديثا بالنسبة لمن سبق بوجه عام إذا ابتعد عن الإنشاء اللفظى والزخرف البيانى على غير مضمون. من يقرأ مؤلفات *مصطفى لطفى المنفلوطى* يرى فى أسلوبه وضوح، رشاقة وسهولة. تتصف كتابة *المنفلوطى* بالإطناب، فهو عندما يصف شيئاً أو يشرح أمراً يدقق فيه ويتعمق ولا يدع جزء منه ألا يعطى وصفاً دقيقاً عنه.

كان *المنفلوطی* يهتم بالقضايا الاجتماعية ويبدو أن اهتمامه بالقضايا الاجتماعية كان نابعا من اتجاه أستاذه *الإمام محمد عبده* الذی كان يريد إصلاح المجتمع، ولذا كان *المنفلوطی* دائم الإلحاح على كشف العيوب الاجتماعية والمناداة بالخلاص منها باسم الفضيلة والشرف.

پژوهشگاه علوم انسانی و مطالعات فرهنگی
پرتال جامع علوم انسانی

المصادر والمراجع

أبوالأنوار، محمد. ۱۹۸۱م، **مصطفی لطفی منفلوطی؛ حیاته وأفکاره وآراؤه وأدبه**، قاهرة: مکتبة الشباب.

أبوالأنوار، محمد. ۲۰۰۰م، **المنفلوطی؛ إمام البیان العربی**، لبنان: الدار المصریة.

رضایی، رمضان. ۱۳۸۴ش، **اشک‌ها**، تهران: کلبه معرفت.

الزیات، أحمد حسن. ۱۹۸۵م، **تاریخ الأدب العربی**، بیروت: دار المعرفة.

شوقی، أحمد. ۱۹۸۸م، **الشوقیات**، الطبعة الرابعة، بیروت: دار العودة.

شوکت، محمود. ۱۹۶۳م، **الفن القصصی فی الأدب المصری الحدیث**، دار الفکر العربی.

ضیف، شوقی. لا تا، **الأدب العربی المعاصر فی مصر**، الطبعة الثالثة، قاهرة: دار المعارف.

طه بدر، عبدالمحسن. ۱۹۶۳م، **تطور الروایة العربیة الحدیثة فی مصر**، الطبعة الثالثة، مصر: دار المعارف.

عبدالقادر، أحمد حامد. ۱۹۴۹م، **دراسات فی علم النفس الأدبی**، مصر: دار المعارف.

عویضه، الشیخ کامل محمد محمد. ۱۹۹۳م، **المنفلوطی؛ حیاته وأدبه**، بیروت: دار الکتب العلمیة.

المقدسی، أنیس. ۱۹۹۰م، **الفنون الأدبیة وأعلامها فی النهضة العربیة الحدیثة**، الطبعة الخامسة، دار العلم للملایین.

المقدسی، أنیس. ۱۹۸۴م، **الإتجاهات الأدبیة فی العالم العربی الحدیث**، الطبعة الثامنة، بیروت: دار العلم للملایین.

مکی، الطاهر أحمد. ۱۹۸۷م، **الأدب المقارن؛ أصوله وتطوره ومناهجه**، مصر: دار العالم العربی.

المنفلوطی، مصطفی لطفی. ۱۴۲۰م، **النظرات**، بیروت: دار الکتب العلمیة.

هدارة، مصطفی. ۱۹۹۴م، **بحوث فی الأدب العربی الحدیث**، بیروت: دار النهضة العربیة.

هیکل، احمد. ۱۹۶۸م، **تطور الأدب الحدیث فی مصر**، الطبعة الثالثة، قاهرة: دار المعارف.

پرتال جامع علوم انسانی